الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم والتوراة والإنجيل أي وعلمتك التوراة
التي أنزلتها على موسى والإنجيل الذي أنزلته عليك وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني يعني وإذ
تجعل وتصور من الطين كصورة الطير بإذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير
في قوله فيها يعود إلى الهيئة ويجعلها مصدرا كما وقع اسم الخلق على المخلوق وذلك أن النفخ لا يكون في
الهيئة إنما يكون في المهيأ ذي الهيئة ويجوز أن يعود الضمير إلى الطير لأنها مؤنثة قال الله تعالى أولم يروا
إلى الطير فوقهم صافات وأما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه يعود إلى الكاف يعني في ذلك
الشيء المماثل كهيئة الطير فتكون طيرا بإذني وإنما كرر قوله بإذني تأكيدا لكون ذلك الخلق واقعا
بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لأن المخلوق لا يخلق شيئا إنما خالق الأشياء كلها
هو الله تعالى لا خالق لها سواه وإنما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا
قوله تعالى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني يعني وتشفي الأكمه وهو الأعمى المطموس من البصر والأبرص
معروف ظاهر وإذ تخرج الموتى يعني من قبورهم أحياء بإذني فجعل ذلك كله من أفعاله والفاعل لهذه
الأشياء في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو المبرئ للأكمه والأبرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير
وإنما كانت هذه الأشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت بإذن الله وقدرته وقوله تعالى وإذ كففت
بني إسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك إذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتهم منك حين أرادوا قتلك
إذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الآية وذلك أن عيسى
عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه إلى السماء
فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات
إن هذا إلا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل وإذ أوحيت إلى الحواريين
يعني ألهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي إلهام كما أوحى إلى أم موسى وإلى النحل والحواريون هم أصحاب
عيسى وخواصه أن آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون
لما وفقهم للإيمان قالوا آمنا وإنما قدم ذكر الإيمان على الإسلام لأن الإيمان من أعمال القلوب والإسلام هو
الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى إذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز لأنه لا يجوز أن يتوهم على الحواريين
أنهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي مع علمه بأنه
يقدر على القيام وإنما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف أن تقوم معي فكذلك معنى
الآية لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وإنما قالوا ذلك ليحصل لهم
مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك أن في مشاهدة هذه الآية
تفيد مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقالوا
غلطوا وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله
عليهم غلطهم بقوله اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله أن تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول
الأول أصح وقيل في معنى الآية هل يفعل ربك ذلك وهل يطيعك بإجابة دعائك وسؤالك إنزال المائدة
وقد ورد في بعض الآثار من أطاع الله أطاعه أن ينزل علينا مائدة من السماء المائدة الخوان الذي عليه
الطعام ولا يسمى مائدة إلا إذا كان عليه طعام وإلا يقال له خوان وطبق وأصلها من ماد يميد إذا تحرك كأنها
تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يعني اتقوا
الله في هذا السؤال إن كنتم مؤمنين لأنه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال
ومعناه إن كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله
أحد من الأمم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان قالوا نريد أن نأكل منها يعني قال الحواريون

مجيبين لعيسى

٥٩٩

مجيبين لعيسى عليه السلام إنما نطلب نزول المائدة علينا لأنا نأكل منها لأن الجوع قد غلب علينا وقيل ودهر
معناه نريد أن نأكل منها للتبرك بها لا لأكل حاجة وتطمئن قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله
تعالى لأنا وإن علمنا قدرة الله بالدليل فإذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين وقويت الطمأنينة ونعلم
أن قد صدقتنا يعني ونزداد إيمانا ويقينا بأنك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله
بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم
وقيل قالوا ذلك لما أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما قال لهم إنكم إن صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله
شيئا إلا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك قال عيسى ابن مريم اللهم قيل إنه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا لأولنا وآخرنا يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد
يعود إذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من
بعدنا فنزلت في يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل
آخرهم وآية منك أي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا أي
ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وأنت خير الرازقين يعني وأنت خير من تفضل
ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى إني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد
نزول المائدة فإني أعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا أعذبه أحدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم
فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب في الدنيا ويجوز أن يكون معجلا
مؤخرا إلى الآخرة قال عبد الله بن عمر إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة
وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لأن الله لما أوعدهم
على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم
فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى إني منزلها عليكم إن سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء
والمفسرين أنها نزلت لأن الله تعالى قال إني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بإنزالها ولا خلف في خبره
ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا
ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه
الترمذي وقال روي عن عمار من غير وجه موقوفا وهو الأصح قال ابن عباس إن عيسى عليه السلام قال لهم
صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا
لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة
أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسي
لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي إليهم منقضة حتى سقطت
بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود
ينظرون إلى شيء لم ينظروا مثله ولا وجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم
عملا فيكشف عنها ويسم الله تعالى فقال شمعون الصفا رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى
عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير
الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عظم وإذا فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا
هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء افتعله الله

Copyright © King Saud University